العمائر الإسلامية الباقية فى مدينة بولجار التتارية بروسيا

د. وليد على محمد محمود♦

مدينة بولجار:

هى احدى مدن جمهورية تتارستان[١] (شكل١،٢)، تبعد عن العاصمة كازان بحوالى ١٤٠كم، ويبلغ عدد سكانها ٥٥٦٨ نسمة، وهى إحدى الجمهوريات التابعة لروسيا الإتحادية، تقع على الضفة اليسرى لنهر شديد الإتساع يعرف بنهر "الفولجا" على مسافة ٣٠ كم من نقطة التقائه مع نهر "كاما"[٢]، حيث يمكن مشاهدة أطلال حجرية قديمة ومتناثرة ومآذن قائمة، فهذا هو ماتبقى من المدينة القديمة لبولجاريا الكبرى، وقد عرفت بهذا الاسم نسبة إلى شعب البولجار أسلاف التتر والذين عاشوا فى القرون من (٣-٨هـ/٩-١٤م) على نهر الفولجا[٣] وأجزاء من نهر الكاما، وكانت بولجار هى عاصمة هذه الدولة لعدة قرون وتعرفها المصادر التاريخية بأنها مدينة " فليكافا بولجارا" أو " مدينة بولجار العظيمة" (شكل ٢).

وتوجد فى هذه المنطقة فى الوقت الحالى قرية صغيرة تسمى قرية البولجار، والتى لا يزال أهلها يحفظون ويعيشون على ذكرى ماتبقى من مدينة بولجار العظيمة

♦ مدرس بكلية الأثار – قسم الآثار الاسلامية – جامعة الفيوم.

١ تتارستان اليوم هى جمهورية فيدرالية تقع في غرب الإتحاد الروسي وبالتحديد في شرق القسم الأوروبي من هذا الإتحاد ،ويحدها أربع جمهوريات اتحادية روسية هي "باشكيريا" من الشرق و "أودمورتيا" من الشمال و "ماري إيل" من الشمال الغربي و "شوفاشيا" من الغرب وأربع مناطق تخضع للحكم الروسي مباشرة وهي "أليانوفسك" و "سمارا" و "أورنغبورغ" في الجنوب و "كيورف" في الشمال. تبلغ مساحة جمهورية تتارستان حوالي ٦٧٨٣٦كم مربع، أما عدد سكانها ٣.٧٦١.٥٤٣ نسمة، منهم ٥٢.٩% تتار و ٣٩.٥ روس و ٣.٣% من قومية "تشوفاش، والسواد الأعظم من التتار يدينون بالاسلام أما الروس و تشوفاس فكليهما أورثوذكس، واللغة الرسمية في تتارستان هي التترية والروسية، وكلتاهما تُكتبان بالأحرف السيريلية – وهى الأحرف التى تكتب بها اللغة الروسية حتى الآن - مع العلم أن التترية كانت تكتب بالحروف العربية حتى عام ١٩٢٩م و بالأحرف اللاتينية من عام ١٩٢٩م حتى ١٩٣٩م، ومنذ ذلك الحين حتى الآن بالسيريلية، واللغة التترية تحوي على كلمات عربية وفارسية وتركية كثيرة، أما التأثير الروسي فيها فينحصر في مجالي التكنولوجيا و الإدارة. انظر: http://ar.wikipedia.org/wiki وكذلك: http://tatarestan.com/index.php

2 Yemelianova, Galina M. "Islam and nation building in Tatarstan and Dagestan of the Russian Federation". Nationalities Papers, vol. 27, No. 4, (1999). pp 605-628.

٣ يُعرف نهر الفولجا أيضاً باسم "إتل" أو "إيدل" و هو أطول أنهار أوروبا إذ يبلغ طوله ٣٦٨٨ كم و يقع في غرب روسيا (أو شرق روسيا الأوروبية) و ينبع من شمال غربهاو يمر بعدة مدن منها "نيجني نوفوغرود (غوركي سابقاً) و "كازان"و "فولغوغراد"(ستالينغراد سابقاً) و "أستراخان" ليصب بعدها في شمال بحر قزوين.انظر:http://ar.wikipedia.org/wiki

القديمة، حيث يعيشون وسط حطام الأضرحة والمساجد وتلال من الحجر الأبيض والطوب وبقايا بعض المبانى القائمة من منازل ومواقد وآبار.

وقد سجلت المصادر التاريخية وبقايا الآثار والمبانى التاريخية وكذلك ماتم العثور عليه أثناء عمليات الحفر والتنقيب بالمنطقة على أن مدينة بولجار كانت واحدة من أكبر المراكز السياسية والثقافية فى بولجاريا، لذا فقد أولت الحكومة السوفيتية – حاليا روسيا الإتحادية – إهتماما خاصا لبقايا المدينة وأطلالها منذ عام ١٩٦٩م[٤].

خلفية تاريخية (النشأة واعتناق الإسلام):

فى فترة العصور الوسطى وفى وقت مبكر وسط منطقة الفولجا وجنوب نهر الكاما نشأت واحدة من أوائل الحكومات الإقطاعية المبكرة فى شرق أوروبا هى مدينة بولجار، تلك المنطقة التى كانت تسكنها القبائل الفينية الأوغرية[٥].

وخلال القرنين (٢-٣هـ/٨-٩م) نزحت إلى المنطقة الوسطى من نهر الفولجا قبائل البولجارالبدوية[٦] التى تتحدث اللغة التركية من سهوب البحر الأسود وبحر أزوف، وكان نزوحهم نتيجة للأوضاع الصعبة فى هذه المناطق، فاحتكت بالتجار المسلمين واعتنق كثير منها الإسلام، وفى الوقت ذاته كانت هناك العديد من التحالفات بين القبائل بعضها البعض والتى كانت تهيمن عليها الصراعات المستمرة، وكان أحد وأهم هذه التحالفات ذلك الذى ترأسته قبائل البولجار فى منتصف القرن (١هـ - ٦م)،

---

[4] Республика Татарстан: памятники истории и культуры. Каталог – справочник. Казань: Эйдос, 1993. – с 354. And: Yemelianova, Galina M. "Islam and nation building in Tatarstan and Dagestan of the Russian Federation. pp 605-628.

[٥] القبائل الفينية الأوغرية هى قبائل ذات أصول وعروق فنلندية وأصول من شمال غرب روسيا. انظر: http://ar.wikipedia.org/wiki/

[٦] لقبائل البولجار عدة فروع منها: **بلغار منطقة حوض نهر الفولغا:** و يحكمها مسلمون بالرغم من بقاء عدد منهم على الديانة الوثنية - **بلغار منطقة الخزر (أي بحر قزوين):** و يحكمها اليهود ويعيش بينهم مسلمون ونصارى ووثنيون، و كل فرقة أكثر عدداً من اليهود ولكنهم جميعاً كانوا يدينون لليهود الخزر بالطاعة وكانت عاصمتهم مدينة "إتل" وهو الإسم القديم لنهر الفولغا وموضع هذه المدينة هو نفس موضع مدينة "أستراخان" الحالية - **بلغار منطقة نهر الدانوب** في شرق أوروبا الذين أسسوا دولة لهم عام ٦٨١م، ومع الزمن اندمج هؤلاء مع الشعب السلافي المجاور لهم واعتنقوا المسيحية على المذهب الأورثوذكسي عام٨٦٤م، ودولة بولجاريا الحديثة هي ما تبقى من دولة بولجارالدانوب بعد أن قضى الروس على دولة بولجار الخزر عام ٩٦٨م والتتار المغول على دولة بولجار الفولغا الإسلامية عام ١٢٣٦م.**انظر:** أحمد إبن فضلان، رسالة إبن فضلان مبعوث الخليفة المقتدر إلى بلاد الصقالبة: عن رحلته إلى بلاد الترك و الخزر و الصقالبة الروس و اسكندينافيا في القرن العاشر الميلادي، ٩٢١-٩٢٤م، جمع و ترجمة و تقديم حيدر و محمد غيبة،الشركة العالمية للكتاب، بيروت ،١٩٩١م، ص ٥٨-٦٢.

حيث استطاعت القوة العسكرية القبلية المنظمة للبولجاريين من بسط سلطتهم ونفوذهم على القبائل الأخرى.[٧]

وكانت المعارك الطاحنة بين التحالفات القبلية، ونشأة دولة إليخانات الخزر، وكذلك الفتح العربى فى منتصف القرن (٢هـ - ٨م) أثرة البالغ فى أن اضطرت جماعات من القبائل البولجارية للنزوح الى الشمال والإستقرار فى أواسط الفولجا والمنطقة السفلى من نهر الكاما وتأسيس مدينة البولجار.

وعلى الرغم من تأكيد بعض المصادر التاريخية من أن نزوح قبائل البولجار التى تتحدث التركية كان خلال القرنين (٢-٣هـ/٨-٩م)، إلا أن بعض علماء كازان فى الفترة الأخيرة تبنوا رأيا مخالفا[٨]، حيث رأوا أن هذه القبائل تسربت إلى منطقة الفولجا والكاما بأعداد كبيرة فى فترة مبكرة منذ القرن (٣-٦م) وفترة من القرن (١-٢هـ / ٦-٧م) وأن البولجار عندما نزحوا فى القرن (٢-٣هـ / ٨-٩م) وجدوا بها قبائل يرتبطون معهم بقرابة الدم، وفى بداية القرون (٣-٤هـ/٩-١٠م) نشأت دولة بولجار الفولجا التى كان ولا بد لها فى البداية من الإعتراف بسلطة إليخانات الخزر ودفع الجزية لهم[٩].

وأصبحت بولجار مدينة مستقلة من الناحيتين السياسية والإقتصادية فى عام ٣٥٤هـ - ٩٦٥م عندما سحق الأمير "سفيا تاسلاف" أمير كييف الخزر، وفى بدية القرن (٤هـ-١٠م) نشات قلاع إقطاعية ذات سلطة تحكمت فى السكان من الفلاحين، ونشأت مدن جديدة مثل " سوفار- بليار- أوشيل - ... " وغيرها من المدن[١٠].

وابتداء من القرن (٤هـ-١٠م) استطاع الإسلام أن ينتشر في هذه الدولة نتيجة لجهود بعض التجار المسلمين ولأخلاقهم الحسنة فى التعامل مع سكان هذه البلاد، وقد تم ذلك قبل الاستقلال الكلي لتلك الدولة عن الخزر، حيث وصل الإسلام إلى دولة بولجار الفولجا عن طريق فارس و آسيا الوسطى[١١]، وأصبحت بولجار هى العاصمة السياسية والدينية للإقليم ولكن سرعان ماتم نقل هذا الثقل السياسى والدينى إلى مدينة "

---

7 Башкиров А.С. Памятники болгаро-татарской культуры на Волге. Казань, Татиздат, 1988,с 161.

٨ من أوائل من تبنوا هذا الراى العالم الأثرى الروسى الشهير كودريافتسف أ.أ ، للمزيد انظر:

Кудрявцов А.А,. Древние города и другие булгарско-татарские памятники Казанской губернии. Казань, Изд-во Казанского Университета, 2004,с 26. Руденко К.А. Древнее ожерелье Казани. Современный взгляд на Булгарскую историю , Казань №8, 2002. – с. 87 – 103.

9 Hunter, Shirin, Islam in Russia: The Politics of Identity and Security ,London: M.E.Sharpe,2005,p.6

١٠ سعيد ابراهيم كريديه، أقليات إسلامية منسية ، المسلمون فى تتارستان (روسيا)-القرم (أوكرانيا)-مقدونيا – اليونان ، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م،ص ١٨.

11 Башкиров А.С. Памятники болгаро-татарской культуры на Волге, с. 145.

بلیار" والتى بنيت خصيصا لتكون أكثر أمنا من مدينة بولجار، وذلك الى أن عادت بولجار عاصمة مرة أخرى من منتصف القرن (٧هـ-١٣م) وحتى منتصف القرن (٩هـ-١٥م) ولمدة قرنين من الزمان، حيث استطاع جماعة من الإقطاعيين البولجار النازحين من الحصول على موافقة السلطة لبناء القلعة والحصن والذى لاتزال بقاياه موجوده حتى الآن[١٢].

وقد حرص ملوك البولجار على أن تكون علاقاتهم طيبة بصفة دائمة مع الخلفاء العباسيين فى بغداد، ففى عهد الخليفة العباسى المقتدر بالله عام ٣٠٩هـ - ٩٢١م وصل ابن فضلان ومبعوثى الخليفة العباسى فيما يعرف بسفارة بن فضلان إلى بلاد نهر الفولجا والتى من أهمها مدينة البولجار، حيث اعترف الملك "ألموش" بتبعية دولته السياسية الاسمية لدولة الخلافة ودخولهم فى دين الإسلام، ومنذ ذلك الحين أصبح الإسلام الدين الرسمى للبلاد، واعتمدت الأبجدية العربية للكتابة بدلاً من الحروف التركية القديمة[١٣].

وعلى الرغم من وجود علاقات تجارية وسياسية بين البولجار وروسيا والقوقاز وأسيا الوسطى وبالتالى بدول الشرق الأوسط، إلا أن هذا لم يمنع من وقوع اشتباكات مسلحة متكررة مع الدول المحيطة خاصة مع الروس، ولكن تهديد الغزو المغولى للمنطقة أدى لنزع فتيل الأزمة بين بولجاريا وروسيا لنسيان الخلافات القديمة، وكان عقد الصلح والتحالف لمواجهة خطر المغول[١٤].

وفى عام ٦٣٤هـ - ١٢٣٦م بقيادة " باتوخان" توجه المغول إلى شرق أوروبا ودخلوا مدينة بولجار مرة أخرى واستولوا عليها ودمروها بالكامل، وبالتالى فقدت أهميتها السياسية والإقتصادية التى سرعان ما عادت إليها مرة اخرى فى نهاية القرن (٧هـ - ١٣م) وبداية القرن (٨هـ - ١٤م)، فبدات تتطور الحرف وتشيد المبانى الضخمة واتسعت رقعة المدينة وزاد عمرانها[١٥].

وكانت النهضة الإقتصادية والثقافية يرافقها كفاح الحكام البولجار من أجل الاستقلال السياسى، وفى عام ٧٦٢هـ - ١٣٦١م قام الخام "بولاتيمور" بحملة إلى بولجاريا واستولى على العاصمة ودمرها وحرقها، وتؤكد الشواهد الأثرية المعلومات التى وردت فى المخطوطات والمصادر التاريخية حيث وجد آثار حريق هائل فى

---

12 Республика Татарстан: памятники истории и культуры с 322.

١٣ سعيد ابراهيم كريديه، أقليات إسلامية منسية، ص ١٧، وكذلك:

Yemelianova, Galina M. "Islam and nation building in Tatarstan and Dagestan of the Russian Federation,P.34.

14 Akiner, Shirin, Islamic Peoples of the Soviet Union, An Historical and Statistical Handbook 2nd ed, London: KPI, 1986, p. 67 .

15 Кудрявцов А.А,. Древние города и другие булгарско-татарские памятники Казанской губернии.с. 28-29.

الطبقات الأثرية التى ترجع الى النصف الثانى من القرن (٨هـ - ١٤م) فى أماكن مختلفة من مدينة البولجار، وعثر أيضا على جثث تم دفنها بدون إجراء أى طقس من الطقوس الدينية[١٦].

وفى بداية القرن (٨-٩هـ / ١٤-١٥م) انخرط حكام بولجاريا فى حروب كانت دائرة بين الأمراء الروس، مما أضعف بولجاريا، الأمر الذى أدى الى أن قضت الحملة التى قادها الأمير "فيودر يوسترى" التى قدمت من موسكوعام ٨٣٤هـ - ١٤٣١م على المدينة نهائيا[١٧].

وفى القرن (١٠هـ - ١٦م) أصبحت أراضى دولة البولجار جزءً من روسيا، الى أن حدثت حركة التنصير والصراع مع المسلمين فى القرن (١٢هـ - ١٨م) فبنيت الكنيسة المسيحية الأرثوذوكسية (كنيسة العذراء)، وتمت تهيئة المبانى والأضرحة وتحويلها الى كنائس صغيرة تتناسب وإقامة الشعائر الدينية المسيحية.

عمائر مدينة بولجار الباقية:

فى نهاية القرن (٧هـ - ١٣م) ومنتصف القرن (٨هـ - ١٤م) كان هناك نشاط معمارى مزدهر خاصة فى العمارة الدينية فى المدن التى كانت تقع تحت سيطرة التتار، وقد ارتقى هذا النشاط فى بولجاريا وعلى وجه الخصوص فى مدينة بولجار- موضوع الدراسة-، فجل الآثار الباقية فى هذه المدينة تقع داخل أسوار القلعة والتى بناها الإقطاعيون النازحون فى القرن (٤هـ - ١٠م) تلك القلعة ذات الأسوار والأبراج العالية والتى بنيت على مساحة تبلغ ٩٠ كم ولم يتبق منها الأن سوى أطلال من الحجارة تظهر فى بقايا أساساتها[١٨]، وتطل القلعة المبنية على مرتفع من جهتها الغربية على ضفة نهر الفولجا، وفى جهتها الشرقية توجد صخرة ضخمة أشبه بتل كبير أطلقت عليها المصادر التاريخية " صخرة أورشليم"، وفى الجهات الشمالية والجنوبية تم حفر العديد من الخنادق العميقة لتعزيز عملية الدفاع والإحالة دون الوصول الى المدينة من قبل الأعداء[١٩].

والحقيقة أن اختيار المكان كان موفقا من قبل الإقطاعيين النازحين والذين تبنواعمليات البناء والتحصين وهو الأمر الذى لا يثير دهشة الدارسين لتاريخ المدن الإسلامية عبر العصور، فاختيار الموقع ومدى ملاءمته للغرض الوظيفى للمنشأة يعد

---

[١٦] محمود شاكر، التاريخ الإسلامي المعاصر، المسلمون في الإمبراطورية الروسية، دارالمكتب الإسلامي ،ط٢، لبنان، بيروت، ١٩٩٤م، ص٣٢.

[١٧] أحمد إبن فضلان، رسالة إبن فضلان مبعوث الخليفة المقتدر إلى بلاد الصقالبة، ص ٢٠٣.

[18] Ибн-Фадлан. Путешествие Ахмеда Ибн-Фадлана на реку Итиль и принятие в Булгарии ислама. Москва: Мифи-сервис, 1992, с. 96.

[19] Frank, Allen. Islamic Historiography and 'Bulghar' Identity among the Tatars and Bashkirs of Russia,p 124.

من الثوابت التاريخية لإنشاء المدينة الإسلامية[٢٠]، فمدينة بولجار هى مدينة محصنة بنيت على هضبة مرتفعة يصعب الوصول إليها من قبل الأعداء[٢١]، فالموقع المحصن تحصينا طبيعيا يساعد على سهولة الدفاع عن المدينة، الأمر الذى لا يمنع من إقامة الأسوار وحفر الخنادق حولها لتحقيق هذه الغاية تحقيقا سليما.

وتشير الحفائر التى تمت فى المدينة على أعماق متفاوتة إلى وجود حياة مدنية عادية للسكان حيث عثر على عظام حيوانات وأدوات منزلية وقطع من الخزف والفخار ذات الزخارف والعديد من قطع المسكوكات ذات الزخارف والكتابات العربية.

ومن أهم المنشآت الإسلامية الباقية فى مدينة بولجار : المسجد الجامع ، والضريح الشمالى، والضريح الشرقى، والمئذنة الصغيرة، وضريح الخان، والقاعة السوداء، وهى المنشآت التى اعتمد الباحث أثناء دراسته لها فى المقام الأول على الدراسة الميدانية نظراً لندرة المراجع والمصادر التى تتطرقت إلى الحديث عنها، فهى الدراسة المتخصصة، والتى أتمنى أن تسهم ولو بالقليل فى التعريف بإحدى المناطق الهامة فى العالم الإسلامى والغنية بالآثار الإسلامية والتى يعزف الكثير من الباحثين عن دراستها نظراً لعوامل كثيرة أهمها عامل المسافة والبعد المكانى وكذلك عائق اللغة حيث يتحدث ساكنى هذه المناطق اللغة الروسية، وهى العوائق التى وفقنى الله فى التغلب عليها.

وفى السطور القادمة سوف أعرض لأهم العمائر الباقية فى مدينة بولجار بالشرح والدراسة:

المسجد الجامع:

هو من أهم المنشآت العامة الدينية فى المدينة لما له من دور أساسى فى حياة مجتمعها، فبالإضافة إلى وظيفته الدينية كان مركزا لبحث الشئون السياسية والتربوية والإجتماعية، وحكمت هذه الأهمية للمسجد الجامع أهميته فى المدينة باعتباره النواة الأساسية فى تخطيطها، فهو أول ما اخطط فيها ومن حوله خطت باقى خطط المدينة وشوارعها وزقاقها وسككها، ويرتبط هذا المفهوم بمفهوم وظيفة المسجد الجامع باعتباره تكوينا معماريا رئيسيا عاما يتوجه إليه جميع من يؤدى الصلاة الجامعة[٢٢].

بدأ تشييد المسجد فى عام (٦٣٨هـ - ١٢٤٠م) وبنى من قوالب الحجر المحلى للمنطقة ذلك البناء الذى لم يتبق منه شيء قائم حتى الأن سوى مئذنته وبقايا أساسات بنائه وبقايا أبراجه الركنية الأربعة والتى استطعنا من خلالها تصور التخطيط العام للمسجد (لوحة ١أ،١ب)، فهو مبنى على مساحة مستطيلة مساحتها ٣٤ × ٣٢ م،

---

[٢٠] للمزيد عن المدن الإسلامية أنظر: محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى،١٤١٩هـ١٩٩٩م.

[21] Frank, Allen. Islamic Historiography and 'Bulghar' Identity among the Tatars and Bashkirs of Russia. Leiden: Brill, 1998, p.128.

[٢٢] محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية،ص ١١٤.

ويحمل سقفه الخشبى ٢٠ عمود مصطفة فى خمسة صفوف كل صف يحتوى على بائكة من أربع أعمدة موازية لجدار القبلة (شكل ٣)، والواجهة الشمالية والرئيسية للمسجد تضم مدخله الرئيسى والذى يحاط بقنطرة معقودة، وقد دعمت الأركان الأربعة للمسجد بأربع دعامات أسطوانية ضخمة متأثرة تأثراً كبيرة بطرق البناء فى العمارة السلجوقية (شكل ٤)، يبلغ قطر الواحدة منها ثلاثة امتار مقامة على أساسات حجرية بعمق ٢م تحت سطح الأرض كانت جميعها مغطاة بأسقف جمالونية لتتناسب وطبيعة البيئة حيث تساقط الثلوج فى فترة الشتاء والأمطار فى معظم أوقات العام، ولم يتبق من هذه الأبراج سوى أنصافها السفلية وبقايا أسوار المسجد الملاصقة لها، تلك الأبراج التى تشبه فى تخطيطها على هيئة ثلاثة أرباع الدائرة وأسلوب بنائها وسمك جدرانها أبراج القلاع (لوحة ٢، ٣، ٤، ٥)، وهو الأمر الذى يسترعى الإنتباه فموقع المسجد المطل من داخل القلعة على نهر الفولجا من تلك الهضبة المرتفعة يقر بما لا يدع مجالاً للشك من أن هذه الأبراج كانت أبراجا دفاعية تستخدم فى حال وقوع أية هجمات خارجية على المدينة.

وللمسجد ثلاث مداخل تذكارية بارزة فى جهاته الشمالية والشرقية والغربية، ويكتنف كل مدخل دعامتين مبنيتين من الحجر يبرزانه ويدعمان جدرانه، اللهم إلا فى الواجهة الشمالية فقد أكتنفت كتلة المدخل دعامة من جهة اليمين والمئذنة من جهة اليسار.

وللمسجد **مئذنة** مرتفعة ذات قمة مدببة (لوحة ٦، ٩)، ساءت حالتها فى عام ١٢٥٧هـ – ١٨٤١م فسقطت زخارفها وبعض كتاباتها مما أدى إلى ترميمها فى العام نفسه[٢٣]، وهى مقامة على قاعدة مكعبة مساحتها ٥ × ٥م، وترتفع بطول ٢٤م من القاعدة حتى نهاية طرفها العلوى (لوحة ١١)، تم شطف أركانهاعلى شكل مثلث مقلوب كمنطقة انتقال خارجية سمحت بالإنتقال الى الطابق الثانى للمئذنة وهو مثمن الشكل حيث أمكن اقامة البدن الإسطوانى للمئذنه عليه.

ويحيط بالبدن العلوى للمئذنة زخارف كتابية متكررة بالخط الكوفى داخل شريط قوامها عبارة التوحيد "لا اله الا الله محمد رسول الله" تفصلها زخرفة وريدة حجرية بارزة (لوحة ١٠).

ويعلو الشريط الكتابى صفا من المقرنصات من حطتين تدور حول الشرفة والتى يقام عليها الطرف العلوى المدبب ذو الشكل المخروطى (لوحة ٩)، وهو مضاف حديثا وليس أصيلا من عصر البناء.

---

[23] Айдаров С.С. Методика сохранения и восстановления руинированных памятников в городище Великие Булгары. Труды КИСИ, вып. IX, Казань, 1987, p .38.

وللمئذنة من الداخل سلم حلزونى حجرى مكون من ٧٤ درجة يتم الصعود خلاله الى شرفة المئذنة (لوحة ١٢،١٣)، ومغطى بسقف مقبى حجرى مدرج (لوحة ١٤)، و فتحت عليه ست فتحات صغيرة عبارة عن نوافذ مستطيلة لإضاءة وتهوية الدرج تلك الفتحات التى لاحظ الباحث من خلال زيارته الميدانية للأثر بأنها متسعة من الداخل وتضيق بصورة نسبية كلما اتجهت نحو الخارج (لوحة ١٣، ١٥)، وهوالأمر الذى يؤكد ما قد تم التوصل إليه من أن المسجد كان له دورا دفاعيا لا يستهان به، حيث تشبه هذه الفتحات فتحات المزاغل فى العمارة الحربية.

الضريح الشرقى:

يقع فى الجهة الشرقية من المسجد الجامع (لوحة ١٦) وبنى من الحجر فى ثلاثينيات القرن (٨هـ – ١٤م)، وفى بداية القرن (١٢هـ – ١٨م) تم تحويله إلى كنيسة القديس نيكولاى.

والضريح لا يختلف فى شكله العام عن تخطيط الأضرحة المتعارف عليها، فلم يتعد فى تخطيطه تلك المساحة المربعة ١٠.٥ × ١٠.٥م ذات الجدران الحجرية السميكة والتى تتحول عن طريق مناطق الإنتقال بصورة مرنة من المربع الى المثمن وهى مناطق انتقال تمثلها المثلثات المنزلقة من الخارج (لوحة ٢٠، ٢١) والحنايا الركنية من الداخل (لوحة ٢٣، ٢٦)، الأمر الذى يسمح بإقامة القبه عليه، فالضريح كما يراه سكان المدينة هو أشبه بخيمة ذات مدخل وغرفة داخلية مستطيلة تتحول بشكل انسيابى إلى قبة هرمية الشكل لتتناسب وطبيعة المناخ فى هذه المناطق (شكل ٥).

وللضريح أربع واجهات يتوسط الجنوبية منها كتلة المدخل الحجرى البارز(لوحة ١٧)، فى حين توسطت ثلاث نوافذ معقودة بعقود مدببة من الداخل والخارج الواجهات الثلاث الأخرى (لوحة ١٨، ١٩، ٢٢).

إلا أنه فى القرن (١٢هـ – ١٨م) أثناء حركة التنصير وأثناء تعديل الضريح ليتناسب وإقامة الشعائر الدينية المسيحية تم نقل مدخل الضريح من الواجهة الجنوبية إلى الواجهة الغربية عن طريق تصغير وإعادة تصميم عقد المدخل المدبب إلى فتحة نافذة، وعن طريق تكبير النافذة الغربية للضريح إلى فتحة مستطيلة معقودة، كما تم إحلال بقايا القمة الهرمية الحجرية وأقيم بدلاً منها قبة هرمية ذات قمة تنتهى بصليب حديدى ،إلا أن هذه التعديلات التى طرأت على الضريح لم تلبث أن عادت مرة أخرى بنفس الشكل التى كانت عليه فى عصر الإنشاء، ففى القرن (١٣هـ – ١٩م) تمت عمليات ترميم جزئية طبقاً للشكل الأول للضريح، فتم إعادة المدخل الجنوبى، كما تم بناء قبة مثمنة هرمية الشكل على نفس شكل القبة الأصلية، إلا أنها لم تكن من الحجر

وإنما كانت من الحديد المطلى والذى يخفف بدوره الثقل على الجدران القديمة للضريح[٢٤].

وعلى الرغم من وجود بعض شواهد القبور البولجارية[٢٥] ذات الزخارف والكتابات العربية الغنية فى المساحة الداخلية للضريح والتى عثر عليها أثناء الحفائر التى أجريت بالمنطقة فى القرن (١٢هـ - ١٨م) ، إلا أنه لا يزال يتوسط أرضية الضريح ذلك التابوت الحجرى (لوحة ٢٤) الذى يمكن إرجاعة الى فترة من الفترات المتأخرة فى القرن (١٢هـ - ١٨م) عندما حدثت حركة التنصير فى المدينة، وهو الأمر الذى يفسره اختلاف طرق الدفن بين الديانتين الإسلامية والمسيحية، حيث يدفن المسلمون موتاهم فى تخوم الأرض فى المكان المعروف بالفسقية [٢٦] والذى يتم الوصول إليه عن طريق عدد من درجات السلم المؤدية إلى أسفل، وهو ما يتعارض وكون هذا التابوت الموجود فوق سطح الأرض تابوتاً من عصر الإنشاء.

وبصفة عامة فإن الضريح الشرقى من حيث التخطيط والتصميم المعمارى يشبه أضرحة أسيا الوسطى، أما من حيث مواد البناء وتقنية التنفيذ فإنه يشبه أضرحة منطقة ماوراء القوقاز أو شبه جزيرة القرم[٢٧]، وأهم مايميز الضريح هو وجود كتفين حجريين يكتنفين كتلة مدخله ليصبح المدخل بارزا تذكاريا (لوحة ١٧) وهى إحدى تأثيرات العمارة السلجوقية على عمارة مدينة بولجار، وكذلك وجود الجرار المدفونه داخل مناطق الإنتقال الداخلية من القبة والتى تظهر فوهتها فقط لتطل داخل الضريح (لوحة ٢٥،٢٦)، وهو الأمر الذى يمكن تفسيره على إحدى أمرين: الأول أن لهذه الجرار غرضا معماريا يتمثل فى تخفيف الحمل على مناطق الإنتقال، والثانى غرضاً وظيفياً

---

[24] Изучение, охрана, реставрация и использование недвижимых памятников истории и культуры в Республике Татарстан. Информационный сборник. Выпуски №№ 2,3. Памятники истории и культуры. Историко-культурные территории. Исторические города. Казань: Карпол, 2001, с. 336 .

[٢٥] تم توظيف الضريح فى العصر الحديث كمتحف أثرى لهذه الشواهد ذات الزخارف و الكتابات العربية القرآنية.

[٢٦] من المعروف أن الضريح معمارياً هو المكان الذى يضم فسقية للدفن فى تخوم الأرض (وهى محل دفن الميت)، وما يعلو ذلك بناءً على سطح الأرض عبارة عن مربع يعلوه قبة، وفساقى الدفن عبارة عن مساحة مستطيلة تبنى فى باطن الأرض أسفل حجرة القبة المربعة، وينزل لهذه الفساقى بواسطة منازل مدرجة وتفرش الفساقى بالرمال. للمزيد أنظر: محمود سيد عبد الله، مدافن حكام مصر الإسلامية بمدينة القاهرة،دراسة أثرية سياحية، تقديم :أ.د. محمد عبد الستار عثمان، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص ٤٦.

[٢٧] يعتبر ضريح (كشينيه) والذى يقع فى باشكيريا وهى منطقة كانت تابعة إفى بولجاريا هو أقرب الأضرحة شبهاً بهذا الضريح.

يتمثل فى ترديد الصوت داخل المكان خاصة أثناء إقامة الشعائر والطقوس الدينية الجنائزية.

الضريح الشمالى:

يقع فى الجهة الشمالية للمسجد الجامع (لوحة ٢٧، ٢٩) وبنى من الحجر فى الثلاثينيات من القرن (٨هـ - ١٤م)، وتخطيطه بسيط ولا يختلف كثيراً عن تخطيط الضريح الشرقى فهو من الداخل عبارة عن مساحة مربعة ٩.٥ × ٩.٥م مغطاه بقبه حجرية، مدخله الرئيسى يتوسط واجهته الشرقية (لوحة ٣٠) وهو عبارة عن فتحة مستطيلة معقودة بعقد مدبب مكون من عدد من الصنجات الحجرية المتراصة (لوحة ٣١)، وفى منتصف كل من الجدران الثلاثة الأخرى فتحت نافذة معقودة أيضاً بعقد مدبب (لوحة ٣٢، ٣٣).

ولم يتبق لنا شيئاً أصيلاً من هذا الضريح سوى أساساته والبقايا الداخلية لجدرانه وبقايا الطلاء الداخلى لها، وفتخة مدخله ونوافذه المعقودة، وكذلك مناطق انتقال قبته المفقودة. وفى نهاية القرن (١٢هـ - ١٨م) أجريت أعمال ترميم جزئى للضريح وتم عمل غطاء واقى حديدى يقوم على أربع قوائم معدنية (لوحة ٢٩) من أجل إعادة الشكل الأولى للضريح من الداخل، ومن أجل الحفاظ على البقايا الخارجية للمبنى من عوامل التعرية ومن التأثير المباشر لأشعة الشمس.

وقد ظلت بقايا هذا الضريح لفترة طويلة تعرف باسم "قبر الدير" وهذا لأنها تم استخدامها عن طريق رهبان دير "أوسبنسكى" كمقابر لهم[٢٨]، وهى البقايا القليلة نسبياً مقارنة بنظيراتها فى الضريح الشرقى، وذلك طبقاً للتشابه فى التخطيط وتتطابق بعض العناصر المتبقية فى كلا الضريحين، فيمكننا القول أنهما ينتميان إلى نفس الطراز المعمارى، وإن كان الضريح الشرقى أكبر حجماً وأكثر زخرفاً من نظيره الشرقى فإن هذا يمكن إرجاعه إلى أن الضريح الشرقى يقع بجوار الجدار الشمالى للمسجد الجامع فى حين الضريح الشمالى فى مواجهة المدخل الرئيسى له، وهو بلا شك المكان الأكثر أهمية، هذا مع عدم إغفال أن الشكل العام الضريح وحجمه وثراء زخرفته تتأثر وبلا شك بمكانة الشخص المدفون فيه اجتماعياً واقتصادياً، وهو الأمر الذى صمتت فى الحديث عنه جميع المصادر العربية منها والروسية، حيث تعذر التعرف على كينونة الأشخاص المدفونين فى هذه الأضرحة للوقوف على مكانتهم الإجتماعية آنذاك.

والضريح حاليا عبارة عن متحف مفتوح للزائرين به مجموعة غنية من شواهد القبور التى تم العثور عليها فى المنطقة ذاتها خلال أعمال الحفر والتنقيب فى بداية القرن (١٢هـ - ١٨م) (لوحة ٣٤، ٣٥).

---

28 Егерев В.В. Архитектура города Болгара. МИА, № 61, 1958,pp.111,112.

المئذنة الصغرى:

هى مئذنة حجرية تقف بجوار ضريح يعرف باسم ضريح الخان (لوحة ٣٦أ،٣٦ب،٤٤)، بنيت فى النصف الثانى من القرن (٨هـ - ١٤م)، وقد عرفت بهذا الاسم منذ عصر الإنشاء وذلك تميزا لها عن مئذنة المسجد الجامع، ووقت إنشاء المئذنة كانت تحيط بها المقابر من جميع الإتجاهات.

والمئذنة مشيدة على على غرار مئذنة المسجد الجامع مع بعض الإختلافات فى أشكال الزخارف والكتابات التى كانت تزين كل منهما، وكذلك الإرتفاع، ففى حين ترتفع مئذنة المسجد الجامع ٢٤م ويبلغ عدد درجات سلمها الداخلى ٧٤ درجة، فإن المئذنة الصغرى تقف بارتفاع ١٢م فقط وعدد درجات سلمها الداخلى هو ٤٥ درجة فقط (لوحة ٤١) غطيت بسقف حجرى مقبى ، وفتحت عليها بعض فتحات النوافذ الصغيرة للإضاءة والتهوية (لوحة ٤٢)، وللمئذنة قاعدة مكعبة الشكل مساحتها ٦×٦م شطفت أركانها الأربعة على هيئة مثلثات مقلوبة قاعدتها تتجه لأسفل تعمل كمناطق انتقال من المربع إلى المثمن (لوحة ٤٠) الذى أقيم عليه بدن المئذنة الإسطوانى المرتفع الذى يعلوه شرفة حجرية دائرية يعلوها قمة المئذنة المدببة المضافة حديثاً على نفس الشكل القديم.

ويميز المئذنة وجود بعض الزخارف المحفورة على الجهة الجنوبية من قاعدتها حيث توجد مضاهية (لوحة ٣٧) معقودة بعقد مدبب زخرفت كوشتيه بزخارف نباتية قوامها فروع نباتية متشابكة ومتداخلة وكذلك زخارف هندسية من خطوط متقاطعة وجميعها محفورة فى الحجر على بدن المئذنة (صورة ٣٨)، وتقع هذه المضاهية بزخارفها داخل فتحة معقودة بعقد نصف دائرى يعلوه زخرفة نباتية لنصف وريدة من ستة بتلات تعلو منطقة الإنتقال الخارجية للقبة (لوحة ٣٩).

والسؤال الذى يفرض نفسه هنا، هل بنيت هذه المئذنة لتكون مئذنة منفصلة أم أنها كانت جزءً من مسجد اندثر ولم يتبق منه شيء حتى بقايا أساساته؟

والحقيقة أنه بعد الدراسة والبحث ومعاينة الأثر ميدانياً تم التوصل إلى عدم وجود أى دليل مادى لوجود أية أساسات أو بقايا مسجد كان ملاصقا للمئذنة، وهو الأمر المثبت خلال تقارير حفائر لجنة الأثار التتارية حتى عام ١٩٩٥م حيث أسفرت عمليات الحفر والتنقيب حول المئذنة عن اكتشاف بقايا مقابر وشواهد قبور فقط ، وهى المنطقة التى لاتزال تعرف حتى اليوم باسم مدينة الموتى على الرغم من عدم وجود أية مقابر بها فى الوقت الحالى.

لذا فإنه من المرجح أن تكون المئذنة بنيت لتكون برجاً للمراقبة لكشف أى هجوم على المدينة خاصة أنها تقع بالقرب من الأسوار الشرقية للقلعة، وهو الرأى الذى يدعمه ماتم إثباته من أن المسجد الجامع – السابق ذكره – كان له دور دفاعى هام كمكان محصن داخل القلعة إلى جانب دوره الدينى كمسجد ومكان لإقامة الشعائر

الدينية، وربما بنيت المئذنة لتكون منارة تهدى السفن، حيث تطل المئذنة على أهم الطرق الملاحية فى ذلك الوقت وهو نهر الفولجا، هذا وربما تكون المئذنة قد شيدت بالفعل لتخدم الغرض الوظيفى الأساسى من إنشاء المآذن بأن يرفع الآذان عليها حتى يتردد صداه داخل أرجاء المدينة خاصة وأن المسجد الجامع يقع بعيداً بالقرب من الأسوار الشمالية الأمر الذى يتعذر من خلاله وصول صوت المؤذن إلى جميع أنحاء القلعة.

ضريح الخان:

إلى الشمال من المئذنة الصغرى على أرض الجبانة القديمة وفى الركن الجنوبى الشرقى من المدينة القديمة توجد بقايا أساسات ثلاث أضرحة متلاصقة ترجع إلى القرن(٨هـ-١٤م)،(صورة٤٣)(شكل٦)،يمثل إحداها والذى تمت إعادة بناؤه على نفس الشكل القديم هذا الضريح الذى نحن بصدده ويعرف بضريح الخان[29](لوحة٤٤)ولا يختلف الضريح فى شكله العام وتخطيطه عن الضريحين الشمالى والشرقى، وإن كان أقل منهما حجماً وزخرفاً،فهو مبنى من الحجر البيئى المحلى على مساحة مربعة٨.٥×٨.٥م تغطيها قبة حجرية صغيرة تبدو من الخارج وكأنها مقامة على سقف الضريح الحجرى مباشرة دون وجود مناطق انتقال (لوحة ٤٣)،فى حين تظهر مناطق الإنتقال من الداخل على هيئة مثلثات حجرية مقلوبة يتوسط كل منها نافذة صغيرة معقودة بعقد نصف دائرى(لوحة٤٨)تعمل عى تخفيف ثقل القبة على الجدران وتسمح بإضاءة الضريح وتهويته. وللضريح مدخل رئيسى يتوسط الواجهة الشرقية وهو عبارة عن فتحة باب معقودة بعقد مدبب تعلوها نافذة مستطيلة طولياً وغير معقودة(لوحة ة ٤٥).

وأساسات الضريح وبعض بقايا أحجار جدرانه الشمالية والغربية أصلية من عصر الإنشاء أما باقى الضريح فيرجع إلى القرن (١٢هـ - ١٨م) أثناء عمليات الترميم وأعادة بناء المدينة إلى شكلها القديم.

القاعة السوداء:

بنيت القاعة من الحجر فى منتصف القرن (٨هـ - ١٤م)، وتعتبر من أجمل المبانى الأثرية الباقية داخل قلعة مدينة بولجار والتى لا تزال تحتفظ بالعديد من عناصرها الزخرفية والمعمارية (لوحة ٤٩، ٥٠)، فهى مبنية من الحجر والآجر معاً، وتخطيطها عبارة عن مساحة مربعة الشكل ١٠×١٠م (شكل ٧)، وللقاعة أربع واجهات خارجية مرتفعة بارتفاع ٦ أمتار تمثل الكتلة أو المستوى الأول للقاعة والتى تظهر للرائى من الخارج وكأنها تتكون من ثلاثة طوابق (لوحة ٥١)، حيث تضم الواجهة الشرقية منها والرئيسية فتحة المدخل الحجرى المعقود بعقد مدبب والذى يتم

[29] Айдаров С.С. Методика сохранения и восстановления руинированных памятников в городище Великие Булгары, с.92.

الوصول إليه عن طريق عدد من درجات السلم (لوحة ٤٩)، ويكتنفه فتحتان معقودتان أيضاً عبارة عن نافذتين صغيرتين للإضاءة والتهوية، وهى النوافذ التى يمكن مشاهدتها فى الثلاث واجهات الأخرى والتى نستطيع من خلالها معرفة سمك جدار القاعة والذى يبلغ ١.٨٠سم وهو الأمر الذى يؤكد وجهة نظر الباحث من أن جميع العمائر داخل قلعة مدينة بولجار كانت ذات غرض دفاعى إضافة الى الغرض الأساسى التى شيدت من أجله.

ويعلو هذه الكتلة كتلة أخرى مربعة الشكل مبنية من الحجر ولكنها ترتد إلى الداخل قليلاً، وفتحت فى كل من واجهاتها الأربعة نافذة صغيرة معقودة بعقد مدبب، ويعلو هذه الكتلة رقبة القبة المثمنة المرتفعة والتى يفتح فى كل ضلع من أضلاعها فتحة نافذة صغيرة معقودة بعقد نصف دائرى مفتوحة داخل عقد مصمت مدبب (لوحة ٥٢)،جميعها متشابه وتعمل على تخفيف الثقل على جدران القاعة وأيضاً على إضاءتها، وهو الجزء الذى أقميت علية الخوذة والتى كانت ضحلة وقت الإنشاء بدلت بتلك القبة المرتفعة فى القرن (١٢هـ - ١٨م).

واست أما من الداخل فيمكن تقسيم الجدران الأربعة للضريح على ثلاث مستويات أفقية، الأول منها وهو المستوى السفلى فتح فى منتصف كل جدار من جدرانه نافذة حجرية معقودة بعقد نصف دائرى (لوحة ٥٣) عدا الواجهة الرئيسية فيتوسطها باب معقود بعقد نصف دائرى أيضاً يسمح بالدخول والخروج من وإلى الضريح، ويكتنف كل فتحة من هذه الفتحات مضاهيتان معقودتان بعقود مدببة من صنجات حجرية متراصة، ويعلو هذا الجزء المستوى الثانى من الضريح والذى تمثله مناطق انتقال القبة المكونة من أربع حنايا ركنية (لوحة ٥٤) سهلت عملية الإنتقال من الشكل المربع للضريح إلى الشكل المثمن والذى يسهل عليه إقامة القبة، وفتحت بين كل حنية والأخرى نافذة معقودة تعمل على تخفيف الحمل على جدران القبة كما تسمح بإضاءتها من الداخل، ومما هو جدير بالذكر أن هذا المستوى بأكمله مبنى من الآجر فى حين بنى المستوى الأول من الأحجار، ويفصل بين المستويين براطيم خشبية ضخمة (لوحة ٥٤) تعمل على امتصاص وتحمل ثقل القبة ومناطق انتقالها، أما المستوى الثالث والأعلى فبنى أيضا من الآجر وتمثله رقبة القبة المرتفعة ثمانية الأضلاع والتى فتح فى كل ضلع من أضلاعها نافذة معقودة بعقد نصف دائرى أقيمت عليها القبة الأصلية وكانت قبة ضحلة سقطت وبنيت هذه القبة فى وقت متأخر.

ويعتقد البعض أن اسم الضريح ليس له علاقه بالغرض الوظيفى الذى أنشأ من أجله فى الأصل كضريح، حيث تروى بعض الروايات أنه عندما دخلت جيوش "بولا تيمور" المدينة إختبأ داخل هذه القاعة الخان البولجارى عبد الله وأسرته، إلا أن قائد جيوش الغزاة أمر بتغطية القاعة بالأخشاب وحرقها مما أدى إلى هلاك كل من كان بداخلها، وعندما أشتعلت النيران وتطايرت الأدخنة رأى الجنود فتاة بملابس بيضاء

تجلس على السطح ، إنها الإبنة الصغرى للخان عبد الله وكانت متدينة وتبذل الكثير من الخير، وظنوا أنها رفعت إلى السماء وأن مارتكبوه هذا هو إثما كبيراً سوف يعاقبون عليه وأن هذا اليوم بالنسبة لهم هو يوما أسوداً وأن هذه القاعة هى قاعة سوداء خاصة وأنه بعد هذه الحادثة حدثت وفيات بين الجند متعددة بدون أساب ظاهرية واضحة[٣٠].

ويذكر العوام من أهل المدينة أن هذه القصة هى من قصص التراث الشعبى وأن سبب التسمية يأتى من أنه بعد حرق القاعة ومن بداخلها صبغ البناء وجدرانه وقبته باللون الأسود، ويحدثنا البعض بأنه بعد حركة التنصير كان المسيحيون يستخدمون القاعة كمكان لتدخين اللحوم وإعداد الأطعمة، الأمر الذى أدى الى أن أصبحت جدرانه سوداء اللون وبالتالى أطلقوا عليه اسم القاعة السوداء[٣١].

ويذكر ابن فضلان فى رحلته الشهيرة أن هذه القاعة والتى تتوسط المقابر كانت مخصصة لإجتماع أهل المتوفى خاصة من النساء لحين الإنتهاء من عملية الدفن[٣٢]، وهو الأمر الذى يمكن تفسيره على أساس أن السيدات كن يرتدين الملابس السوداء للتعبير عن الحزن الأمر الذى يمكن من خلاله أن نذكر مطمئنين أنه بناء على ذلك فقد سميت القاعة بالقاعة السوداء.

وفى ضوء ماسبق ومن خلال التعرض بالدراسة والوصف والتحليل للعمائر الباقية فى مدينة بولجار التتارية بجمهورية روسيا الإتحادية أمكننا التعرف على نشأة وتاريخ إحدى أهم مدن شرق العالم الإسلامى والوقوف على أساليب وأنماط وطرق بناء عمارتها من قبل المسلمين خلال القرنين (٧-٨هـ / ١٣-١٤م)، وكيفية استخدام مواد البناء المحلية فى التشييد والعمارة بطرق بناء بسيطة غير معقدة، ومدى مواءمة المنشأت الدينية منها والمدنية مع البيئة والمناخ السائد فى هذه المناطق الباردة من العالم والتى بدت جلية فى السمك المبالغ فيه لجدران المنشآت، والذى يعطى نوع من الشعور بالدفىء والعزلة داخل المنشأة، وهو السمك غير المبرر معمارياً بالنظر لمدى صغر حجم القباب التى تحملها هذه الجدران، وكذلك أسلوب تغطية المنشآت بالأسقف الجمالونية والقباب الهرمية المضلعة، حيث تغطى الثلوج هذه المناطق معظم أوقات العام، واظهار كيفية ارتباط الغرض الإنشائى لهذه المنشآت بالغرض الوظيفى لها، والذى تعداه أحياناً ليخدم أغراضاً أخرى تتمثل على سبيل المثال فى الأغراض

---

[30] Yemelianova, Galina M. "Islam and nation building in Tatarstan and Dagestan of the Russian Federation.pp.236,237.

[٣١] رواية منقولة عن لسان أحد سكان مدينة بولجار الحاليين.

[٣٢] أحمد إبن فضلان، رسالة إبن فضلان مبعوث الخليفة المقتدر إلى بلاد الصقالبة،ص ١٥٤، وكذلك: Ибн-Фадлан Путешествие , Ахмеда Ибн-Фадлана на реку Итиль и принятие в Булгарии ислама,с 123.

الدفاعية، وهو ماظهر جلياً فى فتحات الإضاءة والتهوية على بدن مئذنة المسجد الجامع، والتى تأخذ شكل فتحات المزاغل فتتسع من الداخل وتضيق كلما اتجهنا إلى الخارج، وكذلك فى الأساطين الركنية الأربعة للمسجد ذاته والتى تشبه فى شكلها العام أبراج القلاع السلجوقية، وهو الحال نفسه فى المئذنة الصغرى أو (مالى مينايريت)، حيث يرجح أن تكون المئذنة بنيت لتكون برجاً للمراقبة لكشف أى هجوم على المدينة – كما سبق ذكره– ، وربما تعدى بناء المئذنة هذا الغرض الدفاعى لتكون منارة تهدى السفن، أو أن تكون قد شيدت بالفعل لتخدم الغرض الوظيفى الأساسى من إنشاء المآذن بأن يرفع عليها الآذان، خاصة وأن المسجد الجامع والوحيد بالمدينة يقع على مسافة بعيدة منها، وهو الأمر الذى يمكن من خلاله التأكيد على أن جميع العمائر المشيدة داخل قلعة مدينة بولجار كانت تخدم أغراضاً دفاعية ظهرت جلية فى كيفية بنائها وتدعيمها وسمك جدرانها، بالإضافة إلى الغرض الأساسى من إنشائها سواء كان غرضاً دينياً أو مدنياً.

كما أنه أمكننا التعرف من خلال هذه الدراسة على أشكال العمارة الجنائزية فى المدينة متمثلاً فى الضريحين الشمالى والشرقى واللذين شيدا فى القرن (٨هـ – ١٣م) وتميزا بمداخلهما التذكارية التى تكتنفها الأكتاف الحجرية ذات التأثير السلجوقى على عمارتها، وبوجود الجرار المدفونة ذات الغرضين الوظيفى والإنشائى فى مناطق انتقال الضريح الشرقى منها، وكيف كان الإهتمام المعمارى والفنى منصباً بصورة أكبر على الضريح الشرقى دون نظيره الغربى، حيث يقع فى مواجهة المدخل الرئيسى للمسجد الجامع، كما تم إثبات أن ذلك التابوت الحجرى الذى يتوسط الضريح الشرقى لايعود إلى الفترة الإسلامية وإنما يعود إلى الفترة التى حدثت فيها حركات التنصير فى المدينة، مستنداً فى ذلك الرأى إلى الإختلاف الواضح فى طرق دفن الموتى عند كل من المسلمين والمسيحيين– كما سبق ذكره– . كما تم التعرض بالوصف والدراسة لأجمل منشآت المدينة على الإطلاق والتى لاتزال تحتفظ بجل معالمها الأصلية، وهى القاعة السوداء والتى شيدت فى الأصل، لتكون ضريحاً، وأوضحت بين ثنايا هذه الدراسة لماذا سميت بهذا الاسم وعرضت للروايات المختلفة حول سبب التسمية واستنتجت من بين ثنايا سطور رحلة ابن فضلان الشهيرة، أن هذه القاعة كانت مخصصة لإجتماع أهل المتوفى خاصة من النساء أثناء عملية الدفن، وبالبحث الميدانى فى عادات وتقاليد شعوب هذه المناطق، تم التأكد من ارتداء النساء للملابس السوداء، تعبيراً عن الحزن أثناء دفن موتاهم، وهو مايجعلنا نقر مطمئنين ان هذا سبباً كافياً لتسمية هذه القاعة بالقاعة السوداء، مع عدم إغفال الآراء الأخرى التى تم عرضها بين سطور هذه الدراسة فلكل منها وجاهته.

الأشكال والصور

(شكل ١) موقع جمهورية تتارستان داخل الأراضى الروسية

(شكل ٢) موقع مدينة بولجار داخل حدود جمهورية تتارستان

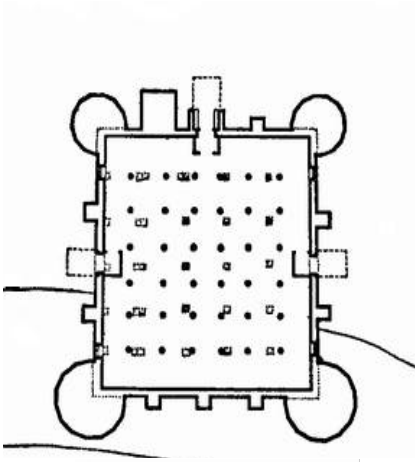

(شكل ٣) يوضح تخطيط المسجد الجامع

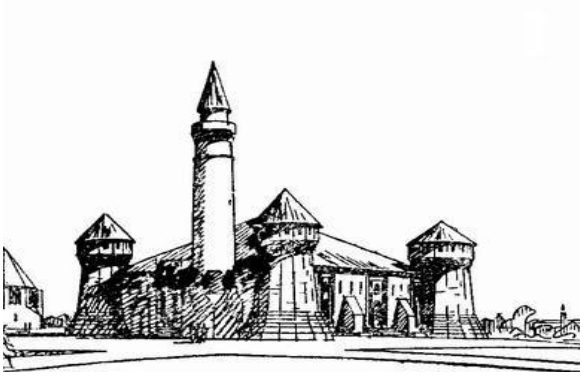

(شكل ٤) رسم تخيلى للشكل العام للمسجد قبل تهدمه

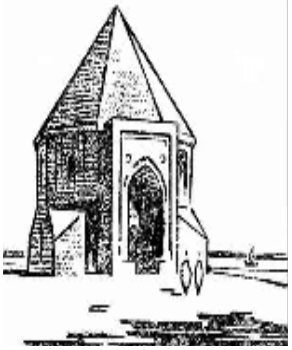

(شكل ٥) رسم توضيحى يمثل الشكل العام للضريح الشرقى

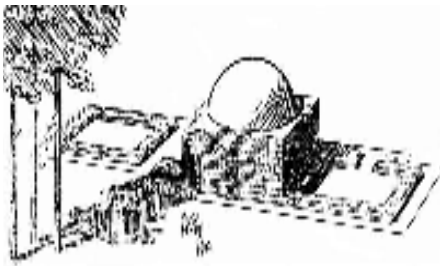

(شكل ٦) رسم توضيحى يمثل الشكل العام لضريح الخان

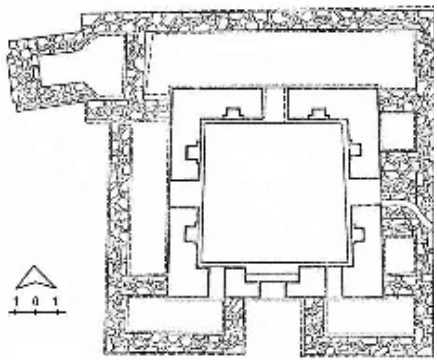

(شكل ٧) المسقط الأفقى للقاعة السوداء

المسجد الجامع (٦٣٨هـ - ١٢٤٠م)

(لوحة١أ – ١ب) منظر عام للمسجد من أعلى المئذنة

(لوحة ٢) الدعامة الركنية فى الجنوبية الغربية

(لوحة ٣) الدعامة الركنية فى الجهة الشمالية الغربية

(لوحة ٤) منظر من أعلى المئذنة توضح بقايا الدعامة الجنوبية الشرقية للمسجد

(لوحة ٥) الدعامة الجنوبية الغربية وبقايا أسوار المسجد

(لوحة ٧) الباب المؤدى للمئذنة وبقايا الجدار الشمالى

(لوحة ٦) مئذنة المسجد وترتفع بطول ٢٤م

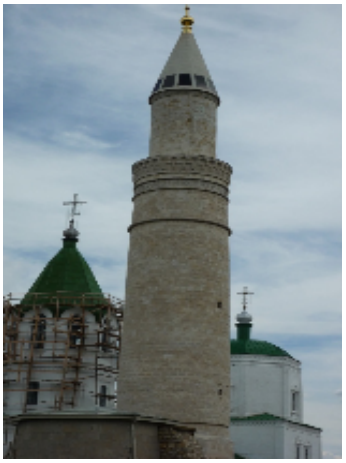

(لوحة ٨) مئذنة المسجد وكنيسة العذراء

(لوحة ٩) الجزء العلوى من المئذنة

(لوحة ١٠) صفوف المقرنصات والشريط الكتابى
على البدن العلوى للمئذنة

(لوحة ١١) قاعدة المئذنة ومناطق الإنتقال

(لوحة ١٢) الدرجات الأولى لصعود مئذنة المسجد
وسقفها الحجرى المقبى

(لوحة١٣) الجدار الداخلى لبدن المئذنة
وفتحة إضاءة وتهوية الدرج

(لوحة ١٤) سقف الدرج الحجرى المقبى المدرج

(لوحة ١٥) احدى فتحات إضاءة وتهوية الدرج
وتشبه فتحات المزاغل

الضريح الشرقى(٨هـ - ١٤م)

(لوحة ١٦) موقع الضريح بالنسبة للمسجد الجامع
فى الجهة الشرقية

(لوحة ١٧) منظر عام للضريح الشرقى
وكتلة المدخل فى الجهة الجنوبية

(لوحة ١٨) الواجهة الشمالية للضريح وكيفية تدعيم الجدران

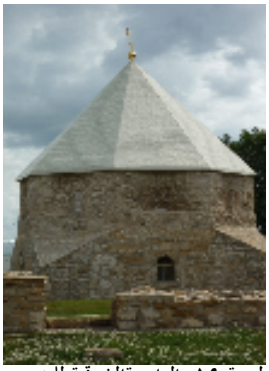

(لوحة ١٩) الواجهةالشرقية للضريح

(لوحة ٢٠) الزاوية الجنوبية الغربية
واحدى المضاهيات فى مثمن رقبة القبة

(لوحة ٢١) الزاوية الجنوبية الشرقية من الضريح
ومنطقة الإنتقال واحدى المضاهيات بعد الترميم

(لوحة ٢٢) نافذة حجرية معقودة
تطل على الواجهة الشمالية للضريح

(لوحة ٢٣) النافذة على نفس الواجهة من داخل الضريخ

(لوحة ٢٤) بقايا التابوت الحجرى ويتوسط أرضية الضريح

(لوحة ٢٥) مناطق الإنتقال الداخلية فى الضريح ويتوسطها فتحات
Acoustic jars

(لوحة ٢٦) إحدى الحنايا الركنية كنطقة انتقال
ويتوسطها الجرة المدفونة

الضريح الشمالى (٨هـ - ١٤م)

(لوحة ٢٧) الضريح الشمالى وخلفه مئذنة المسجد الجامع وبرج كنيسة العذراء

(لوحة ٢٨)الضريح الشمالى من خلال احدى فتحات التهوية والإضاءة المطلة على سلم مئذنة المسجد الجامع

(لوحة ٢٩) منظر عام للضريح الشمالى من أعلى مئذنة المسجد الجامع يوضح القبة والمدخل الرئيسى

(لوحة ٣٠) واجهة الضريح الشمالية ويتوسطها فتحة المدخل

(لوحة ٣١) العقد الحجرى المدبب يتوج فتحة المدخل

(لوحة ٣٢) نافذة معقودة تفتح فى الجهة الشرقية للضريح

(لوحة ٣٣) النافذة من الداخل وتبين سمك الجدران

(لوحة ٣٤) الجدران الحجرية وقبة الضريح من الداخل

(لوحة ٣٥) الضريح من الداخل عبارة عن متحف لشواهد قبور المنطقة

المئذنة الصغرى أو مالى مينارية (٨هـ - ١٤م)

(لوحة ٣٦أ – ٣٦ب) الشكل العام للمئذنة الصغيرة

(لوحة ٣٧) إحدى المضاهيات الحجرية المعقودة
فى الجهة الجنوبية لقاعدة المئذنة
وزخارف نباتية وهندسية تزخرف كوشتى العقد

(لوحة ٣٨) تفصيل للزخارف المحفورة على كوشتى العقد

(لوحة ٣٩) زخرفة نصف وريدة من ستة فصوص
تعلو منطقة الإنتقال الخارجية لقاعدة المئذنة

(لوحة ٤٠) قاعدة المئذنة الحجرية المكعبة
ومناطق الإنتقال الخارجية

(لوحة ٤١) فتحة باب معقودة تؤدى إلى الدرج الداخلى للمئذنة

(لوحة ٤٢) الدرج الحلزونى واحدى فتحات الإضاءة والتهويه

(لوحة ٤٣) منظر لضريح الخان من أعلى المئذنة الصغيرة

(لوحة ٤٤) ضريح الخان وبجواره تقف المئذنة الصغيرة

(لوحة ٤٥) الواجهه الشرقية الرئيسية للضريح
يتوسطها فتحة المدخل المعقودة

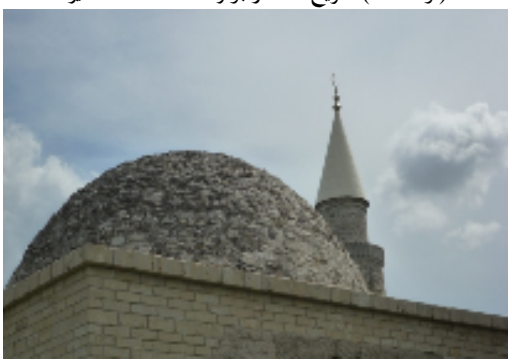

(لوحة ٤٦) قبة الضريح من الخارج

(لوحة ٤٧) أحد أركان الضريح من الداخل

(لوحة ٤٨) مناطق انتقال القبة من الداخل
وفتحات الإضاءة والتهوية والتخفيف

القاعة السوداء (٨هـ - ١٤م)

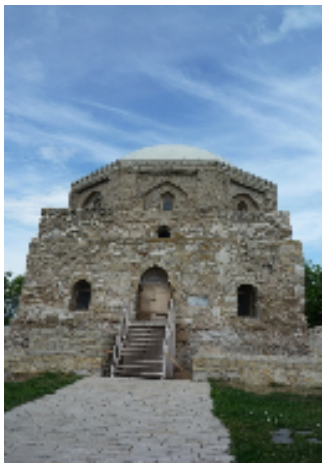

(لوحة ٤٩) الواجهة الجنوبية للقاعة السوداء

(لوحة ٥٠) منظر عام للقاعة بواجهتيها الشرقية والجنوبية

(لوحة ٥١) الواجهة الشمالية للقاعة توضح فتحات النوافذ المعقودة ورقبة القبة

(لوحة ٥٢) جزء من البدن السفلى للقاعة ورقبة القبة

(لوحة ٥٣) المدخل الرئيسى ورقبة القبة من الداخل

(لوحة ٥٤) مناطق الإنتقال من الداخل